الموسوعة الصغيرة

٣٨

الحرب النفسية

د. فخري الدباغ

الموسوعة الصغيرة

(٣٨)

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 27 / جمادى الاولى / 1443 هـ
الموافق 31 / 12 / 2021 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

الحرب النفسية

د . فخري الدباغ

م. سرمد حاتم شكر

منشورات وزارة الثقافة والفنون

١٩٧٩ — الجمهورية العراقية

توطئـــــة :

الحرب النفسية هي «الاستخدام المخطط من قبل دولة او مجموعة دول للدعـــاية وغـــيرها مـــن الاجراءات الاعلامية التي تستهدف جماعات معادية او محايدة او صديقة للتأثير على ارائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تســاعد على تحقيــق سياسة واهداف تلك الدولة او الدول المستخدمة لها . .» .

فهي اذن بمثابة شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل الفرد والجماعة لغرض احداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلهمافريسة المخططات واهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليهـــا وتوجيهها الى الوجهة المقصودة ضد مصلحتهـــا الحقيقية او ضد تطلعاتها وآمالهـــا في التنمـــية او الاستقلال او الحياد او الرفض . . . الخ .

وتهدف الحرب النفسية الى احداث الثغرات والضعف في الجبهة الجماهيرية بمجتمع او قومية او دولة ما عن طريق احداث التغيير والمطاوعة في الانسان ومبادئه واتجاهاته . وبما ان الانسان هو محور عالمنا وعماد تطوره وسيرته، وبما انه يتبادل

التأثير مع المجموع والمجتمع (الراي العام) فيتأثر به كما يؤثر فيه...، فان الحرب النفسية تستهدف الناس كمجموعة وكأفراد ، وتستهدف المدنيين والعسكريين على السواء .

ويجوز ان تصدر الحرب النفسية من افراد وليس حكومات كما يجري عادة بين المتنافسين في الالعاب الاحترافية وسباقات الملاكمة والمصارعة .. او بين شركات ومؤسسات متنافسة .

وقد اقترن اصطلاح الحرب النفسية بالحروب الفعلية ، لكنها في الحقيقة قائمة على قدم وساق في الحروب «الباردة» التي تسبق او تلي الحروب «الساخنة» ، بل ان الحرب الباردة هي الحرب النفسية ذاتها .

ويحدث اصطلاح «الحرب» في السامع والقارىء معنى ودلالة على وجود عنصر الشدة والمفاجأة والزمن المكثف السريع لشن تلك الحرب النفسية . وهذا هو الغالب عادة . لكن الحرب النفسية يمكن ان تكون متهاودة السرعة . . استدراجية ... تخديرية .. هادئة المظاهر .. بيد انها لا تتخلى عن عناصر الشدة في المثابرة والمتابعة واليقظة والتحول السريع الى المفاجأة .

ويظن البعض ان الحرب النفسية ظاهره حديثة ومعاصرة برزت في القرن العشرين ، الا انها في الواقع ممارسة قديمة جدا عرفها البشر ولجأ اليها الحكام والقادة الاذكياء البارعون منذ قديم العصور. وهي حديثة فقط من حيث التسمية لانها استخدمت اول مرة في مطلع القرن العشرين أي منذ الحرب العالمية الاولى على وجه التحديد ـ أي علو شأن علم النفس والتربية الحديثة والعلوم البيولوجية الاخرى .. ثم دخلت في القواميس الحربية الحديثة منذ عام ١٩٥٥ في الولايات المتحدة الامريكية .

وتعتمد الحرب النفسية على الدعاية (البروباجندة) والاشاعة ووسائل اخرى . والبروباجندة (Propaganda) اصطلاح لاتيني يدل على « الاسلوب المخطط لنشر فكرة او عقيدة او خبر ». وهي بالاصل مشتقة من الفعل (Propagare) الذي يعني : «تكثير النبات بزرع الاقلام» الا ان الاصطلاح تطور في عهد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واكتسب معناه الجديد ـ أي نشر وبث الاخبار والمعلومات ـ أي «تكثيرها» .

والدعاية في لغتنا العربية هي نفسها البروباجندة باللغة الانكليزية واللاتينية ، وترتبط بمفهوم بث المعلومات لغاية تهم مصدر الدعاية أي

قد تكون سيئة المقاصد والاغراض ولخدمة مصلحة معينة .

اما الاعلام فهو شيء آخر ، لانه ينقل المعلومات الامينة ويوصلها الى الرأي العام المحلي والعالمي ، وينشر المعرفة حول موضوع معين بدل حصرها في نطاق ضيق . والاعــلام لا يعتمد على الخدمــة او المراوغةكالدعاية مثلا ، لذلكارتبط بمفاهيم محترمة وجادة لدى الناس لانه يعنى بالحقائق الوضعيــة وبالتثقيف والتوعية .

ويختلط الامر على الكثــير ، فلا يفــرق بين الدعاية والاعلام ، مثلما يختلط معنىالكلماتالمتقاربة في اية لغة .

الحرب النفسية قديما :

كانت الحرب النفسية قديما مرتبطة بالمعارك الحربية بصورة اساسية ... وكانت احدى عوامل فشل او نجاح تلك المعارك . ويعزو المؤرخــــون الغربيون اصول الحرب النفسية الى فرنسا في عهد نابليون . والحقيقة انها فن حربي قديم اجــــاده الصينيون والهنود والعرب المسلمون منذ عهـــد الخلفاء الراشدين واصبح محبوكا في عهد الامويين .

وقد عرف الصينيون مبادىء الحرب النفسية قبل الميلاد بقرون ، وادركوا اهمية العلاقات الشخصية والتثقيف الذاتي خلال تاريخهم والقبائل البدائية وضوابط علاقات افرادها وجماعاتها . وهكذا اصبحوا الرواد في تحويل الاتجاهات وتقويم الافكار في القرن العشرين . كذلك مارس قدماء الهنود الحرب النفسية . وعرف اباطرة الرومان اهمية الدعاية وفائدة الشعراء والادباء في نشرها .

وعرفها العرب وقواد المسلمين الاشاوس من امثال خالد بن الوليد وطارق بن زياد . ونستطيع أن نجد تفاصيل شيقة عن اساليب الحرب العربية في مؤلفات عربية متعددة ، منها مثلا (عيون الاخبار) للدينوري في كتابه (كتاب الحرب) . واتبع الامويون وسائل الدعاية والاقناع منذ ان كان دهاء معاوية عدته النفسية في تثبيت دعائم حكمه . وقد اتبع الامويون سياسة الاشاعة والترويج والدعاية اضافة الى استعمال القسوة والاضطهاد والتشريد لاذابة الدعوات المناهضة لهم . كما وضع الامويون احاديث نبوية تخدم سياستهم من نواحي متعددة ولما جاء العباسيون وضعوا هم بدورهم الاحاديث «النبوية» التي تذم الأمويين وتفضحهم لدى العامة. واصبحت الحرب الدعائية واضحة في الحديث الديني والشعر . وضاعت الاحاديث الصحيحة بين الموضوعة ، وتضببت

المفاهيم لدى الناس ، وبذل علماء الدين جهودهم في فرز الحديث النبوي الصحيح المسند عن الحديث الدعائي الملفق او الضعيف الاسناد .

وفي عهد الدولة الفاطمية ،اصبح الاعلام اكثر تنسيقا وانتظاما من العهود الاسلامية التي سبقته ، فقد كان أساس الدولة الفاطمية الدعاية والدعوة بأوسع معانيها ـ ان سرا او جهرا ، مع دقة في اختيار الاساليب المختلفة التي تناسب العامة والخاصة والجاهل والعالم والمتدين والملحد والغبي والفيلسوف . وقد وضع (ابن هانىء الاندلسي) اول خطوة للدعاية وهو بالمغرب عندما اتصل (بالمعز) فاتح مصر ومؤسس مدينة القاهرة . وكانت تسبق (جنكيزخان) دوما دعاية هائلة عن قدرته وبطشه على الرغم من ان حقيقة قوته لم تكن بمستوى تلك الاشاعات ، لكنها احدثت تأثيرا مرعبا ومخدرا في الاقطار التي اكتسحها المغول ، ولم يسلم منها الا القليل ، فالاسماعيليون مثلا لم تنل منهم الحرب النفسية المغولية وكانوا اشجع من قاوم الاكتساح البربري .

كما ان بذر التفرقة الدينية واثارة التعصب الطائفي كان من الاسلحة القديمة في الحرب النفسية. والانفعالات والحماس الاعمى يزيد من التفكك والخصام ويفعل في عقول السطحيين والسذج

والبسطاء فعل السحر . لذلك نجد البعض يؤمن بفكرة ما ويندفع في نشاط معين تحت التأثير الخبيث لعواطف العداء والتدمير ضد اخوان له من البشر من الاديان او الطوائف لاخرى . واستغل السياسيون القدماء ذلك التعصب الديني لخدمة اغراضهم التوسعية واطماعهم في النفوذ والتغلغل والاثـراء والسيطرة الاقتصادية ، او القضاء على الحركات التحررية الوطنية .

وتعمل الحرب النفسية على اخفاء الغايات الحقيقية للنزاعات والحروب الداخلية بأظهارها كحروب دينية عقائدية صرفة بين مسلم ومسيحي ويهودي ...، ويذهب ضحية ذلك التضليل النفسي مئات والاف ، وتسيل دماء بريئة زكية مهدورة بينما يتستر المخططون الماكرون ليدبروا معركتهم النفسية منتشين ومتلاعبين بالاحاسيس الدينية .

وتبرز الحروب الصليبية من التاريخ البعيد كمثال بارز لما جرى من حرب نفسية بأسم الدين . فالاستعمار الغربي تقنع بالحملات الدينية موجة بعد اخرى للسيطرة على الشرق الاوسط . ومن الحقائق التاريخية المعروفة ان الفزاة المسيحيين الغربيين قتلوا في معاركهم المسيحيين الشـرقيين والمسلمين واليهود دون تمييز . كما ان المسيحيين الغربيين هم الذين حرموا اليهود من سكنى القدس

ثم سمح لهم صلاح الدين الايوبي ومن تلاه من قادة العرب المسلمين ان يسكنوا القدس مع العرب المسلمين والمسيحيين دون تفرقة وتمييز (وهذا ما تحاول الصهيونية ان تخفيه وتطمسه عن اليهود في القرن العشرين ممن لم يقتنعوا بالصهيونية ويعتنقوها او الذين يترددون في تصديقها ..) . وقد شارك المسيحيون الأرثوذكس الشرقيون المسلمين في حربهم ضد المسيحيين الاوربيين ـ البيزنطيين ، ولم يخضعوا لهم او يتبعوا كنيستهم . واخيرا قبل المسيحيون الشرقيون حكم المسلمين بكامل اختيارهم وحريتهم .

ولجأ نابليون الى الدعاية لنفسه كقائد حربي لا يقهر وانتهجها في الحرب النفسية ضد اعدائه وللتأثير في الراي العام . وهو الذي شرع في عقد مؤتمر او مجلس «للرأي العام» يماثل المؤتمرات الصحفية الحديثة لتخضع لتوجيهه السياسي . ويروى ان قائدا من قواده اسلم الروح وهو يصرخ من الام مبرحة بسبب جروح اصيب بها ، فلما علم نابليون بنبأ موته سأل : ماذا كان يقول وهو على فراش الموت ، فقيل له ما حدث بالضبط ، الا انه التفت الى من حواليه وقال : اكتبوا انه مات وهو يردد «اموت .. وليحيا الامبراطور» ...

وهكذا اصبحت العواطف الدينية لعبة بيد صانعي الحروب النفسية يستخدمونها في الازمات والمواقف والمراحل الحرجة ، فقد زرع معاوية الفتنة بين انصار الامام علي (رض) منذ موقعة صفين عندما احتال عمرو بن العاص على ابي موسى الاشعري في التحكيم .. ثم بدأت الفتنة والتفرقة والنزاع بين صفوف الامام علي ، وقطف ثمارها معاوية بمكر وصبر ودهاء .

فالحرب النفسية ليست من ابتكارات القرن العشرين ، بيد انها اتخذت لها الكيان والمنهج العلمي والتنسيق والادارة في عهد التكنولوجيا الحديثة .

الـــرأي العام . . . والاتجاهات :

ترمي الحرب النفسية بالنتيجة الى التأثير في الراي العام واتجاهاته ، ولذلك اعتبرت الحـــرب النفســـية جـــزءا من عمليات غســـل الدمـــاغ Brain - Washing المعروفة ، بل ومن اهمهـــا تقريبا ..

فما هو «الـــراي العام» . . . ومـــا المقصـــود بـــ «الاتجـــاهات» ؟ . . ، وما علاقتهمـــا بغســـــل الدماغ ؟ ؟ ؟ . .

الاتجاه : هو اسلوب وخطة في التفكير والعقيدة يضع الانسان في حالة من التهيؤ والشعور العاطفي والعقلي تجاه اية ظاهرة من ظواهر الحياة وحوادثها. ويتكون الاتجاه سريعا او تدريجيا في الانسان ، وقد يكون خفيفا وقتيا او عميقا ثابتا ومستمرا .

والاتجاه يكون ذا مستويات مختلفة في العمق والنوعية يمكن ايجازها بما يلي :

أ ـ الاتجاه ذو الطابع الشخصي : كأن يظن او يعتقد او يحصل عند الفرد انطباع بأن المطربة الفلانية هي افضل واندر من غيرهن او ان زيداً من الناس اخلص واصدق من عمرو . . . الخ .

ب ـ الاتجاه ذو الطابع الجماعي : أي عندما يعتقد الفرد بأشياء وانماط في التفكير يشاركه فيها عدد آخر من المجموع في مجتمعه او في مجتمعات اخرى . مثلا اعتقاده بأن الزنوج في بعض دويلات افريقيا مضطهدون من قبل حكومات الاقلية البيضاء ، ويتعرضون الى شتى صنوف التمييز العنصري والظلم الاجتماعي ، والسياسي ، وان الانسان الابيض دخيل ومستعمر ومستغل ، وان الحكم يجب ان يكون بيد الاغلبية . او ان يعتقد الفرد بأن زيارة الرئيس المصري انور السادات للعدو في

الارض المغتصبة هي ضربة عنيفة لامال العرب جميعا ونكسة للمقاومة الفلسطينية وتنكر قاسي وسحق لعواطف وكرامة ومشاعر العرب في كل ارجاء الوطن العربي .. ويشاركه (اي الفرد) الكثير في رايه واتجاهه ذلك .. والى مستوى رأي عام واسع .

جـ ـ الاتجاه العقائدي : اي عندما يؤمن الفـــرد بمبادىء معينة واساليب في التفكير والعمل توجه حياته وتصرفاته ونظرته الى المستقبل. ونجد ذلك في الافراد الملتــزمين بحـزب او جماعة معينة كالبعثي المؤمن بمبادىء الحزب وتوجيهاته وسياسته في الداخل والخـارج او الفلسطيني الثائر المنتمي إلى المقاومـة وهذا النوع والمستوى من الاتجاهات يكون عميقا راسخا وقويا. اماالاتجاهات الاخرى فتكون اقل عمقا واضعف قوة من الاتجـاه الاخير.. كالانكليزي المؤمن بحزب المحافظين.

ويعتمد الاتجاه في تكوينه على الحاجـــات الداخلية للفرد وتجاربه الشخصية في الحياة وعلى المتطلبات الخارجية ـ الاجتماعية والثقافية ـ ... والانتماء الى الجماعة ذو مفعول حاسم في تقـرير نوعية الاتجاهات . فالفرد الامريكي البسيط يكون له اتجاه معين في الحرب الكورية والحرب الفيتنامية

وفي النفط وتصريفه.. وفي الاستعمار وفقما يسمعه ويقرؤه ويراه من دعاية حكومية امريكية ومن فيض التوجيه الصحافي والمذياع والتلفزيون المسخرة جميعها لخدمة التجار الكبار الاحتكاريين ونفوذهم في الكونغرس . اما الامريكي الواعي المثقف المدقق فيكون له اتجاه من نوع آخر عندما يبحث عن حقائق اخرى ويتصل بمصادر محايدة او جهات معارضة فتتكشف امامه بواطن الامور واسرار السياسة والاعيبها ، فتكون اراؤه وسلوكه في الانتخابات والحركات الاجتماعية مختلفة عن اتجاه ذلك المواطن الساذج .

والحرب النفسية تحاول تغيير اتجاه الانسان في المستوى والعمق والنوعية التي ذكرناها انفا لانها تريد تحقيق اتجاه آخر في ذلك الانسان يخدم اهدافها ..

اما الرأي العام : فهو مشاركة افراد كثيرين في رأي واحد واتجاه منسجم مما يؤدي الى جعل مجموع تلك الاتجاهات الفردية الموحدة سائرة في درب عام واسع هو ـ الرأي العام . ويحسب للرأي العام حسابه في امور الحياة الخطيرة وفي مقدمتها : السياسية والاقتصادية . فالانتخابات الامريكية والمرشحون يغازلون الرأي العام ويسترضونه. واولا الرأي العام العربي الاصيل لاندفع حكام كثيرون في الاستسلام والتساهل امام الضغط الصهيوني ـ

الامبريالي .. لذلك يلجأون الى المراوغة والألاعيب لتضليل الرأي العام وخداعه لتنفيذ مقاصدهم . ويتضح نفوذ الرأي العام واهميته في قول السياسي الشهير (بسمارك) «يتكون الرأي العام الحقيقي في باطن حياة الشعب وتكون عناصره سياسية واجتماعية ودينية ..» .

والرأي العام وان كان متكونا من مجموعة أراء الافراد ، ولكنه يكتسب قوة اضافية اخرى ونفوذا جديدا لانه يمارس ضغطه وتحويره على اتجاهات الافراد من ناحية اخرى . فهو اذن ليس بالمحصلة الحسابية البسيطة لاراء الافراد بل يزيد عليها بمقادير .

ومن هنا ندرك لماذا تستهدف الحرب النفسية الرأي العام والاتجاهات لانهما يكونان الجبهة الصلدة التي تقف ازاءها ، اذ بانهيارها او تداعيها ينفتح الباب على مصراعيه امام النفوذ والسيطرة الاجنبية. كما ان أي تغيير طفيف على اتجاه الرأي العام يضمن للجبهة المخططة تغيير مجموعات كبيرة من الافراد ، وهو مكسب لا يستهان به .

الاسس العلمية للحرب النفسية :

اعتمدت الحرب النفسية قديما على الخبرة والتجربة البشرية . فحكمة ودهاء الحكام ورجال

الحرب كانت هي الاساس في فهم النفس البشرية ومواطن ضعفها وقوتها. وكثيرا ما كانت تلك التجارب والاستنتاجات صائبة وسديدة . فالانسان يدرس الظواهر المختلفة ويستنتج منها ما يريد حسب اجتهاده ، وقبل ان ينتظر علما جاهزا او اسلوبا خاصا في البحث او آلة معينة .

وعندما تبلور علم النفس الحديث وانسلخ عن الفلسفة اصبح هو المرجع للكشف عن جوانب النفس البشرية وكيفية التأثير فيها . واستفاد رجال الحرب النفسية من جميع مدارس علم النفس الشهيرة : من نظرية فرويد الجنسية .. وادلر وعلو الذات .. ويونج وطبائع البشر .. وبافلوف وعصاب القلق والهستيريا والحوافز والدماغ .. ومكدوجل والغائية .. الخ . وبهذا اكتسبت الحرب النفسية الحديثة الصيغ والمنهج العلمي ، وامتدت الى علوم الاجتماع والاجناس البشرية والطب الحديث والعلوم الصرفة من فيزياء وكيمياء لتستفيد منها جميعا في تخطيط وبرمجة وادارة مشاريعها .

ومن يروم التأثير في الانسان وجماعته لابد ان يستكشف كل مجالاته العاطفية والفكرية ويسبر اغواره في الشعور واللاشعور . ويتطلب ذلك جميع المعلومات الوفيرة في العلوم المتعددة المذكورة آنفا وعلى راسها علم النفس .

وتستخدم الحرب النفسية كل وسائل الاتصال والتوصيل الحديثة (Communication) من اذاعة الى صحافة وتلفاز ومسرح وسينما وندوات عامة ومؤتمرات محلية وعالمية .. الى رحـــلات ومتاحف واماكن ســياحية لبث ونشر ما يريده المخططون لها .

وتتبع الحرب النفسية الاساليب العمليـــة التالية للتأثير وتغيير الاتجاهات :

١ ـ تحشيد وتوجيه الحقد المباشر على الجهـــة الثانية لتثبيط معنوياتها بحيث لا تتبقى آثار عطف او محبة ـ او بالاحرى لا يتبقى الا حب واحد او كره واحد لا غير . وتتراكم عواطف الحب والكره في الحرب وتتبلور تدريجيا .. ويصبح الكره منفذا للقسوة والاعتداء ..... وللاعتداء مبرراته في الحروب .. ولذلـك تختفي مشاعر الأثم وتأنيب الضمير القديمة . وكره العدو لا يولد رد فعل من تأنيب الضمير كما يحدث عادة لو كره الانسان والديه او احد معارفه او اقربائه . وهكذا تؤثر الجهة والطرف المعتدي على محاربيها ..

٢ ـ استغلال وتأجيج وتأكيد الفكرة السائدة عن الاشخاص او الشعوب . فالدعاية المضللـــة تضخم هذه الانطباعات وتبرزها ، فمن يريد محاربة قضية الزنوج يلجأ الى ابراز معايبهم المتداولة حسب الروايات ، ومن يريد محاربة الاشتراكية يفتش عن النواحي التي يخشاها منها او التي يتصور انها ستنجم عنها ويبتكر لها المساوىء والسلبيات ! او يضخم بعضا منها ان وجدت فعلا .

٣ ـ الانتخاب ، أي اختيار حقيقة واحدة من بين مجموعة منها ومن غيرها بحيث تلائم اغراضه ويبني عليها اكاذيبه ودعايته . وفن الانتخاب يعني الاستناد الى الاسس والمؤشرات العلمية والاجتماعية والسياسية والثقافية لذلك البلد او الشعب .

٤ ـ الكذب ، وهو اضعف الوسائل ، لان الكذب الصرف لا ينفع وقصير العمر ، لكن الاستناد على اجزاء من الحقائق وشذرات من الوقائع الفعلية وعلى المنطق هو اضمن . لذلك كانت دعاية الحلفاء في الحرب الثانية انجح من دعاية (جوبلز) في المانيا الهتلرية والذي كان يعتقد بالمبدأ القائل : «اكذب ثم اكذب حتى يصدق

الناس» . وقد تبين ان الكذب المستمر لا يجدي فتيلا مع جماهير القرن العشرين الواعية التي تراقب الاحداث وتنتظر النتائج ..

٥ ـ التكرار والاعادة بصور واساليب مختلفة تؤدي الى نفس المعنى ، لان التكرار الموقوت والمدروس يؤدي الى ترسيخ المعلومات المطلوبة وتعزيزها ضد النسيان والاهمال . والاعادة هنا ليست ببغاوية بل فنية ـ ادبية ـ علمية مستترة متلونة ومختلفة المظهر والصياغة عن سابقتها .

٦ ـ التأكيد والمجاهرة بصحة الادعاء دون فسح المجال للتشكيك او الطعن او التردد . اذ ان القارىء او السامع او المشاهد اللبيب يلمس تردد وادعاء صاحب الدعاية من نبراته او اسلوب عرضه او حركاته . فأذاعة شيء يجب ان يكون مصحوبا بلهجة الواثق وحماس الصادق الغيور دون صخب وتهريج .

٧ ـ الاشارة الى «عدو ما» سواء كان عدوا وهميا او حقيقيا لتقوية معنويات الناس وتجميع عواطفهم العدائية نحو هدف آخر واحد بعيد عن صاحب الدعاية لكي تتحول اية غرائز عدائية عنده الى الجهة الاخرى ويغدو مؤهلا لتقبل المزيد من الايحاءات والايعازات بهذا

الاتجاه ـ فالميول العدائية لدى الانسان تحتاج الى هدف تنصب عليه ، والحرب النفسية تمهد لهذا الهدف بطرقها الخفية .

وعنصرية الصهاينة جعلت من خطط حروبهم النفسية المعروفة اتهام اعدائهم او أي مفكر يجاهر بفكرة قد تمس او تتطرق الى عـدم شرعية دولتهم او تنتقد بعض مواقفهم بالعداء «ضد السامية» (antisemitism) او «اللاسامية» . ويضحك العارفون من هذه اللعبة الحربية النفسية لان العرب ساميون كذلك وليست حكرا على اليهود .. وليس كل اليهود صهاينة .

وتستخدم الصهيونية سلاحا اخرا في توجيه التهم واثارة الخوف والحقد وهو الصاق تهمة «النازية» بالمناوئين لهم او ادخـال الشعور بالاثم والخطيئة تجاه ما عاناه اليهود من اضطهاد وتعذيب في اوروبا ، وبذلك تحاول السيطرة على السياسيين في تلـك الدول وخاصة في المانيا الغربية ...

٨ ـ الاستعانة والاستشهاد بمصادر القوة والثقة في تأكيد الادعاء . كأن يقال مثلا : «.. وصرح شاهد عيان ... الخ «.. او» وذكر احـد

الاسرى انه . . . الخ « . او » واكد مجموعة من الاطباء المختصين ان ما حدث كان بفعل مادة سامة . . الخ » . فذكر الطبيب المختص او شاهد العيان توحي بالاطمئنان والثقة لاول وهلة فاذا لقي الادعاء اول قبول لدى الانسان فأن التكرار والوسائل الاخرى كفيلة بترسيخه . . .

٩ ـ بث الاشاعات التي تولد الحيرة والقلق والهواجس والمخاوف . وهي بداية زعزعة الجبهة الداخلية ، وسنأتي على شرح حرب الاشاعات بعد قليل .

١٠ـ اكتساب صداقة المحايدين او محاولة زجهم في نفس التيار معهم وهنا تتجلى اهداف الحرب النفسية : فهي متعددة الوجوه وتستخدم مع الاعداء والمحايدين والاصدقاء . . وتستعمل مع شعوب اخرى او مع مواطني نفس البلد . .

١١ـ استخدام الاذاعات السرية . وكانت هذه المعارك الاذاعية تدعى اثناء الحرب العالمية الثانية بـ (الحرب السوداء) ، ولجأت اليها جميع الاطراف المتحاربة . وعادة ما تنسب هذه الاذاعات الى فئات وجماعات لا وجود لها او لا وزن لها . .

١٢ـ استخدام سلاح الغرائز الجنسية لاجتذاب الاخرين الى الدعاية المقصودة بالاضافة الى مصادر المتع واللذائذ الاخرى .

١٣ـ التضليل والتمويه قبل الشروع بحركة عسكرية او سياسية عن طريق الصحافة والاذاعة وذلك بأذاعة اخبار معاكسة تماما او مهدئة او ملهية عن النوايا المبيتة .

١٤ـ محاولة بث الشك وسحب الثقة من نفسية المواطن تجاه جذوره التاريخية وتراثه وامجاد امته واصالة قوميته ، .. وبذلك يضمن العدو ضعف وتخاذل مقاومته .

وللتمادي في زعزعة انتماء الانسان الى ارضه ووطنه ودفعه الى قطع اواصره واللجوء الى الهجرة والخلاص ، لجأ الصهاينة دائما الى طرد العرب القاطنين في فلسطينهم العربية والى السجن دون محاكمة وبتهم واهية ، وبأجراءات فجائية محيرة كفرض منع التجول ونسف المباني بحجج واهية مما يربك العربي ويوصله الى حدود الوهن والقلق والاستعداد للهجرة .

حـــــرب الاشاعات :

الاشاعات ركن اساس في الحرب النفسية ، فهي الوسيلة الفعالة لاحداث البلبلة في الحــــرب والسلم . والبلبلة مفتاح الى تغيير الاتجاهات وزعزعة اسس الحكم وهز الايمان بالوطن والوحـــدة والصمود .

وترويج الاشاعة وحبكها وتوقيتها يحتاج الى دقة في الصنع والصياغة بحيث تصبح مستساغة معقولة قابلة للبلع فالهضم فالانتشـــار وحســب النسق الاتي :

١ ــ فمن اصول بث الاشاعة الناجحة ان تكـون بشكل خبر او رواية ومختصرة ونفاذه وملائمة لاحتلال جزء من تفكير المواطن العادي لتتمكن بعدئذ من تحوير فكره واتجاهه .

٢ ــ ويجب بث الاشاعة في ظرف من الغمـــوض والالتباس لتجد لها مرتعا خصبا ومستقرا مضمونا . فالغموض يولد الشك ، والاشاعة تنمو في الشك وتؤثر في الراي العام . .

٣ ــ ويستحسن ان يكون الناس في حالــة مــن التوجس والخوف من حدوث شي ما ، فاذا ما ظهرت الاشاعة تبلورت حولها الهواجس

وتحول التوجس الى خوف حقيقي وهذا هو المقصود من الحرب النفسية .

واسلوب التهديد واستعراض العضلات يدخل تحت هذا النوع من الاشاعات ، اذ يقـــوم المخطط بتسريب المعلومات التي تثير الحذر والتمعن لدى القوى الوطنية والرأي العام لاحتمال وقوعها : فالضغوط الامريكية ـ الصهيونية تلوح بين حين وآخر بالتدخل في شؤون الشرق الاوسط وخاصة في الدول العربية المصدرة للنفط .. ، وتشير الى «تغيير» في بعض انظمة الحكم العربية ، او «احداث» تنسيق أمني في منطقة النفط ، والتهديد باحتلال اجزاء من جنوب لبنان وسورية ، او تشكيل قيادة فلسطينية بديلة للقيـــادات الصلبة الرافضـــة . . وهكذا . .

٤ ـ ويجب ان تكون الاشاعة في صالح جماعة او مذهب او طائفة ، وضد عصبة وجماعة اخرى وحسب تخطيط واهداف الحرب النفسية لتشعل نار الكراهية والعداء والعنف والتوتر . .

٥ ـ ويجب ان تعبر الاشاعة عن القلق الدفين او النقد الحبيس فتأتي الاشاعة فيكون تداولها منفذا للتفريغ والتنفيس عن الحالة النفسية الداخلية .

والاشاعات المتواترة التي يطلقها الاعداء ضد وطننا العربي والحكومات الثورية تسير في هذا المنهج. ونستطيع تصور الجهاز الضخم الذي يقوم بصنع واطلاق الاشاعات المدروسة الفعالة .

ويجب ان لا يغرب عن البال ان الاشاعة سلاح المتضررين والمحتكرين والعملاء والرجعيين داخل الاوطان المتحررة . وعن طريقها يشنون حربا نفسية على المواطن البريء المخلص لكي يبعدوه عن اهدافه وقيادته الثورية ولكي يزرعوا بذور الشك فالتلكؤ فالاهمال والجمود . فعندما تقوم الحكومة الثورية باجراء ما تنطلق اشاعات «الرتل الخامس » لتفسرها بما يزيد من القلق والريبة والخوف في نفوس المواطنين ، وهكذا تنطلق الاشاعات لتخريب كل خير وصالح ومفيد من ابسطه الى الى اعظمه . فمن اشاعة وجود اختلافات .. الى احتمال الاستيلاء على الممتلكات الشخصية... الى اختفاء السكر من الاسواق قريبا .. الى اتهام المصالح الحكومية والقطاع الاشتراكي بالربح الفاحش والاستغلال والاحتكار .. الى اتفاق سري مع دولة اخرى

ضد المصلحة الوطنية .. الخ . وتؤدي هذه الاشاعات مفعولا وقتيا من زعزعة الثقة ـ ما لم تكن السلطة الوطنية ساهرة يقظة للتصدي لها ومعـرفتها حالا لكـي تطفئها وتفندها . فالاشاعة سلاح يمكن ان يستخدمه كل شخص او جهة لتفكيك الجبهة الداخلية او تشتيت الجبهة الخارجية في الحرب والسياسة .

وتنطلق الاشاعات قبل الانتخابات في الدول الغربية ، وتصبح اداة في المنافسة الحزبية الضروس . ففي عام ١٩٢٤ كانت الانتخابات محتدمة في بريطانيا بين الاحزاب الثلاثة : المحافظين والعمال والشيوعيين .

ونشرت جريدة (الديلي ميل) صـــورة فوتوغرافية لرسالة زعمت انها مرسلة من (زينوفيف) الزعيم الشيوعي وموجهة الـى الحزب الشيوعي البريطاني يحضه فيها على قلب نظام الحكم . وكانت نتيجة تلك الوثيقة المزورة تأزم الموقف بالنسبة لحكومة حزب العمال التي كانت قد اعترفت بنظام الحكم السوفيتي قبل مدة قصيرة . وهكذا سقطت حكومة العمال من جراء تغيير اتجاه الناخبين الانكليز لمجرد اشاعة مطبوعة في صبيحة ايام الانتخابات .

وقد تبين نتيجة التجارب العملية والوقائع التاريخية ان العمليات الحربية والانتصارات الستراتيجية لها الاثر الاول والحاسم في تقرير النصر النهائي ، وان الدعاية على شتى اشكالها تستمد نفوذها من تلك الانتصارات كما انها تخفف من وقع الهزيمة الوقتية .

وقد لا تؤثر الحرب النفسية في العدو ذاته قدر تأثيرها في الشعوب المغلوبة او التي تحت الاحتلال . فالدعاية لا تؤثر الا فيمن له استعداد وتهيؤ للاصغاء لها وامتصاصها وتنفيذ ما جاء فيها بشكل ما وخاصة اذا كان الجانب الخاسر ضحل المعنويات .

وفي الصفحات القادمة امثلة على الاشاعات والتمويهات التي استخدمها العدو الصهيوني في مشارف واثناء حرب ٩٦٧ وكانت ناجحة.. ، ثم كيف فشلت اشاعاته ومخططاته الدعائية في حرب تشرين ، مما يدل على ان مصير الاشاعات تحكمه عوامل مختلفة تتعلق بالتوقيت والظروف والوعي .. الخ ..

الحرب النفسية في القرن العشرين :

بدأت الحرب النفسية بالصورة العلمية المنسقة كما ذكرنا بنشوب الحرب العالمية الاولى . وفي عام ١٩١٨ تأسس «قسم الدعاية ضد العدو» في بريطانيا برعاية اللورد (نورثكليف) . وتأسست ايضا «جمعية عالمية» لنفس الغرض ضمت دول بريطانيا وايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، ومركزها لندن . وافتتح الرئيس الامريكي (ولسون) لجنة الدعاية والنشر برئاسة (جورج كريل) في عام ١٩١٧ .

وكانت الحرب العالمية الاولى مدار تلك الحرب النفسية . ثم تطورت الاساليب والوسائل بتطور العلوم الحديثة وتشعبت الدراسات المختبرية والتطبيقية ، حتى اذا ما نشبت الحرب العالمية الثانية دخلت الحرب النفسية مرحلة جديدة واتخذت صورة اعنف واوسع . وكانت اكاذيب غوبلز الالمانية مثالا للدعاية الفاشلة غير المدروسة . واستخدمت اليابان اساليب مماثلة .

وقام الحلفاء بشن حرب نفسية مضادة من القاء النشرات الى الاذاعات السرية .. الى الاخبار المموهة . وفي عام ١٩٥٥ ظهر اصطلاح «الحرب النفسية» . في قاموس المصطلحات الحربية الذي اصدرته وزارة الحرب الامريكية .

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية ادرك الجميع ان الحرب النفسية وان كانت تبدو على اشدها في حالات الحرب ، لكن فترة السلم لا تقل عنها خطورة ان لم تكن اخطر منها . وهكذا بدأت حرب الافكار والدعاية والاعلام بين المعسكرات العالمية الكبيرة . وبظهور دول العالم الثالث وعدم الانحياز اتضح ان الحرب النفسية تستهدف الاعـداء وتستهدف الاصدقاء على السواء من حيث محاولـة دحـر المعارضين وجذب وكسب المحايدين والاصدقاء او اطالة مدة ولائهم .

ويذكر بعض الناقدين والمؤرخين ان بريطانيا استخدمت حربا نفسية موفقة عندما استطاعت سحب صديقتها الولايات المتحدة الامريكية وجرها لدخول الحرب العالمية الثانية . وكان الصهاينة وراء حملة بريطانيا الخفية . وقد استغلت بريطانيـا حوادث حساسة لاستثارة عطف وتأييد وغـيرة الولايات المتحدة ، منها : اعمـال الالمـان النازيين القاسية اثناء الحرب وخاصة حرب الغواصـات الالمانية الشديدة ، واغراق الباخرة الامريكيـة (لوزيتانيا) وفقدان ١٢ ألف رجل وامرأة من ركابهاـ وان كانت تلك الباخرة تحمل بالحقيقة عتادا حربيا للحلفاء ! ! ! ـ ، ثم الاعتداء على بلجيكا المحايدة ، واعـدام الانسـة (كافيل) وان كانت بالحقيقة عميلة ! ! ـ .. الخ .

وكانت الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية اقرب الى الصدق والمنطق من الحرب العالمية الاولى اذ استندت الى نتف من الحقائق وتظاهرت بالصدق واستشهدت بوقائع فعلية اساسية ثم بنت عليها ما تريد ، بالاضافة الى التكرار وتحسين فن العرض واسلوب التعبير بحيث لا يتنافى مع الاسس الاولية الصحيحة . وقد عبر رجل الدعاية البريطاني (لندلي فريزر) عن ذلك بقوله : «لا تصرح بشيء لا تؤمن انه يتماشى ويتلاءم مع الحقائق التي تعرفها اولا ، ولا تصرح بشيء الى بلد ما او الى جمهور مستمعين بحيث يبدو مناقضا لما صرحت به سابقا الى بلد آخر او اناس آخرين ...» .

وكانت انباء الخسائر الجسيمة التي وقعت بين الحلفاء لا تنفيها اذاعاتهم او تكذبها قط . بل كانت تذيع نبأ الخسارة الجسيمة لها مصحوبة بذكر مدى الخسائر الجسيمة التي لحقت بالعدو بالمقابل في تلك المعركة . ويعود التأثير بالطبع الى الشعب الذي يسمع تلك الانباء . فالذي يذيع انباء انتصاراته دائما يكتم أنباء خسائره بصورة ملحوظة فاضحة ثم يطول به الانتظار دون تحقيق نصر فعلي ـ كما حدث في المانيا اثناء الحرب العالمية الثانية ـ لابد وان يولد الشك والسأم لدى الرأي العام فتهبط معنوياته ويفتر حماسه وتأييده .

واتجهت الحرب النفسية كذلك الى الفكاهة والبرامج الساخرة من الزعماء وكبار المسؤولين في الاطراف المتنازعة . وتعمدت اذاعات بريطانيا السرية ان تكون اذاعة الاخبار من قبل السكان والوطنيين للقطر المقصود بالاذاعة . اما التعليمات السياسية فانها تذاع من قبل سياسيين ومدنيين بريطانيين لئلا يتهمهم الاعداء بانهم خونة اوجواسيس او مرتزقة .

ومنذ عام ١٩٤٢ حدث تغيير في اسلوب الدعاية الغربية في الحرب . فقد كان اسقاط المناشير الاخبارية والدعائية على المدنيين القاطنين قرب الحدود ذا اثر تافه على معنويات العدو ، لان المناشير تغدو قديمة عندما تسقط بأيدي المدنيين ، كما يتلف ويضيع منها عدد كبير قبل ان يصل الجزء الباقي الى قرائه في الجبهة المعادية . لذلك تحول الحلفاء الى القاء المناشير على الجنود المحاربين انفسهم في جبهات القتال .

وتخلى الحلفاء عن مبدأ الصدق في الدعاية او الثبات في الانباء لتحل محلها برامج من الانباء والروايات التي تدور حول مواضيع غير ثابتة او واضحة المعالم والتي هي موضع شك من قبل العدو . فالظاهرة غير المستقرة في عقل الانسان تكون اشد مدعاة للريبة والقلق والاضطراب بعد ورود انباء اخرى تزيد من غموضها .

كما اتجهت الحرب النفسية الى سلاح الغرائز الجنسية ايضا لاجتذاب الاخرين الى الدعاية المدسوسة . وكان اليابانيون يلقون المناشير على الجنود الامريكان وقد طبع على الوجه الاخر منها تصاوير الفتيات العاريات .. والقى الالمان على الجنود الانكليز تصاوير فتيات ونساء عاريات وبالقرب منهن جنود امريكان يغازلونهن وكتبوا في اسفل الصورة : «انظروا كيف يتمتع الامريكان ويغتصبون بناتكم وزوجاتكم في انكلترة وانتم تقاتلون وتقتلون في جبهة القتال الغربية ـ ....» .

وفي اثناء البرامج الموسيقية لاذاعات الطرفين كانت تذاع الانباء الدعائية المختصرة المركزة ، فلا يسع محب الموسيقى الا ان يسمعها انتظارا للوصلة الموسيقية القادمة . وتتبع اذاعة صوت امريكا نفس الاسلوب تقريبا اذ تتبادل البرامج الموسيقية مع الاعلامية بالتساوي . كذلك لجأ الطرفان الى اذاعة اسماء الاسرى والقتلى والمفقودين بين فترة واخرى . ولا ريب ان الاسماء اجتذبت المستمعين الكثيرين في اوطانهم .

واستخدام الاعلام في الحرب النفسية ضرورة لا محيد عنها . لذلك لجأت الصهيونية مثلا الى الهيمنة على مراكز القوى الاعلامية في العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا والمانيا

الغربية ثم فرنسا وهولندة . ويفضح كتاب « لا تنشروه» Publish it not (من منشورات دار لونجمان وتأليف الكاتبين الانكليزيين كريستوفر ماهيوو مايكل آدامز) كيف تمكنت الصهيونية من السيطرة على معظم اجهزة الاعلام البريطانية وحاربت وسحقت بعض الكتاب والصحفيين من ذوي الضمائر الحية والرأي العادل وحاولت طمس سياستها الاستيطانية وتشريدها لسكان فلسطين العربية وتمكنت من التغلغل في ادارة السياسة الخارجية البريطانية والامريكية . . .

ان نشر الدعوات والحقائق على الرأي العام العالمي يتطلب وجود الاعوان والاصدقاء العقائديين المخصلين الذين يقومون بدور السفراء المبشرين لمبادىء حقوق الانسان في الاستقلال والحرية والمساواة والرفاه . فالحركات والمنظمات والاتحادات الطلابية . . والنسائية . . والشباب . . والعمال العالمية هي المثال على التعاون في هذا المجال . .

اما الجانب المعتم المرير من الحروب النفسية فهي اعتماد الاعداء والمخربين على «العملاء» والمتشردين المرتزقة لبث الاشاعات الهدامة والمعاكسة . وتحاول الصهيونية الاعتماد على اليهود

في انحاء العالم لتحوير اتجاهاتهم واستخدامهم لاغراض الصهيونية العالمية في تلك الاوطان كرتل خامس .

ومن جملة الحروب النفسية الفردية او المحدودة هي اطلاق التصريحات من جانب للتأثير على معنويات الجانب الاخر . وقد استخدمها الرياضيون المحترفون والنوادي للتمهيد لكسب النزالات . واستخدمها الملاكم محمد علي كلاي ضد منافسيه وبطريقة بارعة تحيطها هالة من الثقة المطلقة والسحر والغموض . فيصرح انه سيقضي على خصمه في الجولة الثالثة او التاسعة بلهجة الواثق . ثم تعمل الصحافة على تطوير ذلك . وتضيف اليها احتمالات وخيالات جذابة ومغرية كأن تقول ان في عينيه سحر التنويم المغناطيسي للخصم . كما ثبت ان محمد علي كلاي كان يكلم ويعلق على خصمه بجمل وكلمات تنفذ الى صميم معنوياته لتربكه .

اما تصريحات الساسة فتتجه الى ابعد من ذلك .. ابسطها مثلا ان امريكا سوف لن تعتمد على النفط كمصدر للطاقة ... وانها بسبيل ايجاد مصدر اهم .. ، وان النفط مادة غير مهمة جدا ... وان رفع سعر النفط من قبل منظمة «الاوبك» سيضر

بالاقتصاد العالمي .. الخ .. الخ . كل ذلك بهدف التأثير على البلاد المصدرة للنفط وعلى الرأي العام للتقليل من اهمية سلاح النفط في السياسة الوطنية والعالمية .

الحرب النفسية . . . . والامة العربية :

يصبح جليا مما تقدم ان الامة العربية كانت ترزخ تحت وطأة الحكم العثماني ثم الاستعمار الغربي وتعرضت الى حرب نفسية منذ ان بدأت تطالب بالاستقلال الوطني . ووجد الاستعمار والامبريالية سلاحا جديدا يوجهه ضدها ومرضا خطيرا ينشره في اوصالها الا وهو الحركة الصهيونية العنصرية . وهكذا تحالف الاثنان : الصهيونية والاستعمار لشن الحرب النفسية الطويلة الامد على الامة العربية .

وكان الاستعمار والصهيونية يدركان تماما ان يقظة الامة العربية وعلو شأن القومية العربية هو تحد حضاري هائل يمكن ــ لو نجح بصورة مثالية ــ ان يعيد للامة العربية مجدها السابق وقوتها وكلمتها في الساحة العالمية . لذلك اصبح الانسان العربي في غمار معركة عقلية نفسية ضارية يشنها عليه اعداؤه ليتخلى عن مبادىء الوحدة العربية قبل كل

شيء . وقصة كفاح الاقطار العـربية مع الـدول المستعمرة والاحتلال الصهيوني لفلسطين ، وسلسلة الحروب الصغيرة والكبيرة التي شنت عليها تحكي بجلاء ابعاد الحرب النفسية التي صاحبتها والتي تقنعت باشكال واساليب عديدة .

واتاحت نكسة حزيران ١٩٦٧ المجال لاعداء الامة العربية لان يسلطوا تلك الحرب النفسـية الشنيعة لاقتلاع جذور الصلادة والايمان والثقـة تجاه كل ما هو عربي .

ونتذكر جميعا انه عندما تهيأ الكيان الصهيوني لهجوم ١٩٦٧ تعمد ان ينشر حربا نفسية مخدرة ومموهة بالحيلة والمكر . فنشرت تصاوير المئات من الجنود وهم يسترخون ويلعبون ويتمتعون باجازاتهم على البلاجات .

كما اذاع (موشي دايان) ان حكومته التجأت الى «الحل الدبلوماسي الذي يجب ان نلجأ اليه . . !» وذلك لذر الرماد في العيون . وارسلت وزارة الدفاع مئات من الجنود باجازة نهاية الاسـبوع فعلا ، واذاعت اذاعة العدو تقريرا مفصلا (ومزورا) عـن جلسات برلمانية (كاذبة) دارت في الكنيست حول مشاريع عمرانية جديدة ، بينما كانت الجلسـة الحقيقية تدور حول تقرير عن الهجوم الغادر على البلاد العربية .

ثم تبعت تلك الحرب المأساوية عشرات المقالات والكتب الدعائية التي تكمل رتوش المعركة وتقدمها للرأي العام العالمي كصورة مزيفة وفق الخطة الصهيونية الدعائية لتزيد من خجل وانسحاب وتراجع الانسان العربي . ونذكر منها كتاب (حرب الايام الستة) للعميل الانكليزي (راندولف تشرشل) .

واستمرت الصهيونية المنتشيه بانتصاراتها لتعيق التئام الجروح ، ولتذل كبرياء الانسان العربي وتشعره بالعار والضعف . ونحن نعرف انها لم تنجح في ذلك بفضل عوامل كامنة في اصالة وروح الامة العربية ، وليس بفضل الانظمة الحاكمة المكدودة او الضالة والمتراجعة . وباءت المحاولات الصهيونية بالفشل بفضل يقظة المواطن العربي والثورات الوطنية القومية الصميمة مثل ثورة ١٧ـ٣٠ تموز في العراق والتي اختطت سياسة عربية قومية واشتراكية صريحة وواضحة .... وكذلك ميلاد الثورة الفلسطينية العظيمة ..

وفي الوقت ذاته كانت الحرب النفسية الصهيونية تعمل في خط آخر هو الضغط على يهود العالم لاجل ان يستمروا على الولاء لها واطاعتها والتبرع لها .

ولقد عرفت الصهيونية ان حياتها الطفيلية لن تستمر دون التأثير المستمر في الجمهور اليهودي المنتشر في جميع انحاء العالم ، ودفعه الى الالتفاف حولها وجر المحايدين والمسالمين منهم الى ساحتها . وادركت الصهيونية المخادعة انه لن يتحقق لها ذلك الا باثارة مخاوفهم من المواطنين الاخرين — غير اليهود — في كل مكان وفي تأجيج حقدهم وكرههم وتجسيدهم كعدو غادر سيفتك بهم .. ، وفي تعميق شعورهم بالاضطهاد . لذلك احاطت الصهيونية المنتمين لها بارتباطات ، والتزامات متينة غليظة من التعاليم والارشادات والتهديد النفسي والمعنوي . وينقلب الفرد اليهودي المخدوع بالصهيونية الى عبد اسير او كما يقول (راد كريشنان) : «انه ليس الاله الذي يعبدون .. بل هو الجماعة او السلطة التي تدعي انها تتكلم بأسمه ، ويغدو الاثم بمثابة عدم الطاعة او مخالفة السلطة وليس التهديد للكيان الديني» . فالحرب النفسية الصهيونية ـ الاستعمارية هي ذات حدود واوجه متعددة : فمنها الموجه ضد الامة العربية .. ومنها الموجه الى جماهيرها .. ومنها الموجه الى دول العالم : المتواطئة معها .. والمحايدة والمعادية لها وهكذا .

وبوضوح معالم وكيان وحجم المقاومة الفلسطينية اصبح على الاستعمار والصهيونية توجيه

حرب نفسية مركزة للتشكيك بجدوى المقاومة والرفض ، وراحت تشن الحملات في جميع اقطار العالم وتشوه القضية الفلسطينية والعمل الفدائي باظهاره في صورة البربرية والعنف والتخريب . كما لجأت الى التعذيب والتنكيل داخل الارض المحتلة لاذابة وتحجيم العمل الفدائي داخل وخارج فلسطين ووجدت الصهيونية في الانظمة المتخاذلة طريقا آخراً لتفتيت وبعثرة المقاومة الفلسطينية .

لكن الكيان الصهيوني وقع في الفخ النفسي الذي نصبه للعرب . فقد اصابه مرض نفسي بعد الانتصار في معركة ١٩٦٧ وهو «الغرور» . فعلى الرغم من حبكة وتخطيط الاعلام الصهيوني الا ان الغرور المتناهي والغطرسة اعمت بصيرة الساسة الصهاينة وجعلتهم فريسة حربهم النفسية ذاتها . فكأن الانسان يصبح اسير دعايته وطوع سحره فيقع في الفخ وينخدع بخداعه ويقع في شباك نفسه . والذي حدث ان القادة العسكريين والسياسيين اصيبوا بنوبة العجرفة والايمان الاصم باسطورة التفوق الصهيوني وقبل ان تأتيهم صدمة ٦ اكتوبر وانهيار (خط بارليف) بثلاثة اسابيع تقريبا اسقطوا ١٣ طائرة سورية مقابل طائرة واحدة خسروها في معركة جوية مما زاد في اعتقادهم باستحالة اقدام

العرب على دخول حرب ، وان كل ما يقولونه هو مجرد تهويشات سطحية . وصرح الجنرال (حاييم هيرتزووغ) بعد تلك المعركة : «علينا ان نحافظ على تفوقنا الجوي الذي يعني التفوق العسكري (الحربي) في الشرق الاوسط كله ..». ثم قالت صحف الكيان الصهيوني ما معناه ان جيش العدو لن يسمح باستئناف اعمال العدوان برا او بحرا او جوا ! وكان اسلوبا ذكيا ذلك الذي اتبعه العرب بعدم استعمال صواريخ سام ارض – جو رغم امتلاكهم اياها حتى لا يفيق الصهاينة من خيالاتهم .. وقد عبر عن هذا الزهو الغاشم أسحق رابين بقوله : «ان مجرد التصديق بأن العرب قرروا الهجوم على اسرائيل لايعني فقط العودة الى اثارة حقائق تم اثباتها.. وانما يعني اثارة قضية وجودهم نفسه» .

وهكذا وقع العدو في فخ اسطورة التفوق المطلق الذي لا جدال فيه ، وتبعته بالطبع الصحافة العالمية – التي كانت في أيدي الصهاينة وراحت تصرح بعدم امكانية أي جيش عربي على القتال وان امور العرب سائرة الى الانحلال والفساد .. وظللت العدو خيمة من طمأنينة كسولة مخدرة على اثر هذا الشعور بالقوة والسيطرة واكدت وجود أمن داخلي وجذبت المترددين في الهجرة الى فلسطين . واهمل القادة

العسكريون بعض التقارير التحذيرية التي ارسلها مفتشون عسكريون اشاروا الى عدم وجود ضبط وظهور روحية التسيب والاستهتار بين الجنود الصهاينة واستمر الاستخفاف بجبهات المواجهة .. وحجب خط بارليف اليقظة والحذر عن عقول القادة العسكريين ، وبدأوا يتمتعون بالمباهاة والترف والنفوذ وعلى رأسهم موشي دايان ...

اذن فالحرب النفسية قد تنقلب على نفسها ـ كما يرتد الكيد الى نحر الكائد !

ثم جاءت حرب تشرين الثاني التي حطمت اسطورة التفوق العسكري . واثبت المواطن الجندي المصري والسوري والعراقي ان قابلياته القتالية وشجاعته وايمانه بقوميته وعروبته في عنفوان مستمر . واصبحت حرب اكتوبر وعبور القناة وانهيار خط بارليف والوصول الى الممرات في جبال سيناء واعتى المعارك في جنوب سورية .. وتساقط الطائرات الصهيونية كالذباب الشريد .. اصبحت تلك الحقبة مثارا لدهشة واعجاب العالم ، وادخلت الرعب والهلع والخزي والخجل الى قلوب الصهاينة .

وكان اسهام الجيش العراقي في الحـــرب الفعلية سندا مهما في انجاحها وصد الهجوم العنيف الذي كان يهدد الشعب العربي السوري الشقيق ويهدد الشام بالسقوط . وهكذا استعاد العربي ثقته بنفسه واسترد معنوياته واصبح لاينكمش في مواجهة الاخرين ليدافع عن قضية فلسطين ذزال شعوره القديم بالخجل لكن **الاستعمار والصهيونية سلطا على المقاومة الفلسطينية اعداء لها من بين العرب انفسهم .. فاشتعلت نيران الفتن والحرب الاهلية لازالة الوجود الفلسطيني الى الابد . واعاد الاستعمار والصهيونية استخدام السلاح القـديم وهو اثارة الصراع الطائفي والديني في لبنان ...** وبذلت الدعاية جهدا خارقا لاظهار احداث لبنان وكانها صراع بين المسلمين والمسيحيين بينما تؤكد تفاصيل الحقائق ان المسألة هي ذات ارتباط وثيق بمستقبل القضيــة الفلســطينيــة والتغلغــلــ الاستعمار ـ الصهيوني ...

وتعرضت المقاومة الفلسطينية الى ضغوط من عدة جهات في الساحة العربية لاسيما الساحـة اللبنانيـــــة . وكـــــانت الزيـــــــارات (المكوكية) الامريكية تنسج وتحيك مؤامرات التسوية

مع المتراجعين والمتخاذلين لاجهاض نتائج حـــرب تشرين ثم القضاء عليها تماما . ولعل من المفيــد التأكيد على ان الخطط المبيتة كانت جاهزة ومهيأة في مواقيتها .. فلكل حدث وظاهرة حلول .. ولكل بادرة ردود .. وكانت خطوات المؤامرة تسير بأنتظام يقابلها بالمثل وباستمرار وعــي وجبهة وطنيــة في لبنان .. وقوى تقدمية ذات اهداف عريضة مشتركة وفكر بعثي ثائر متغلغل في ارجاء الوطن العربي ..

الحرب النفسية ضد العرب مستمرة ولن تنقطع طالما وجد في الوطن العربي عملاء للاستعمار والصهيونية وسعاة للتنازلات والتسويات .

وواقع العالم العربي الان ، وما يجري في لبنان وعلى الساحة العربية يدل على ان الاستعمار والصهيونية لجأوا الى حرب نفسية خبيثة لتفكيك اوصال الامة العربية بأثارة الطائفية والنزعة الاقليمية والـــى العداوات والفتن المحلية والهاء الشــعب العربــي معضلات صغيرة لينسى المعضلة الاكبر وهو الوجود الصهيوني في قلب الامة العربية ولتصاب بالخـــور والتعب والازمات والنزاعات الداخلية والخلافات .

وفي غمرة نشوة الانتصار في حرب اكتوبر ، تنبهت القوى الوطنية الى انها كانت حرب «تحريك» وليست حرب «تحرير» . وثبت للرأي العام العربي بعدئذ بجلاء ان التخطيط البعيد المدى للاستعمار

والانظمة الاستسلامية هو التمهيد التدريجي للتسوية والأعتراف بالكيان الصهيوني العنصري .

وهكذا بدأ قادة التسوية في القاهرة بحرب نفسية بطيئة وباردة على جماهيرهم وموطنيهم والشعب العربي اجمع يمكن اجمال خطواتهما بما يلي :

أ ـ ايقاف الزحف والاندفاع التحريري للجيش العربي المصري عند منطقة الممرات . .

ب ـ اطلاق الوعود بتغير سريع وتطور خطير في اقتصاديات مصر ورفاهية الشعب او ما سمي بسياسة الانفتاح .

جـ ـ قطع اواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والاعتماد على المعسكر الغربي .

د ـ الهاء الشعب بالاشاعات المغرية في تحسين مستوى المعيشة ، وفتح باب الاستيراد ـ فاذا بالاستيراد يؤدي الى حرف الاقتصاد الى الجانب الاستهلاكي . . وعرض البضاعة الغالية بانواعها وعدم تمكن ذوي الدخل المحدود ـ وهم الاغلبية ـ من شرائها . .

هـ ـ اطلاق الحريات التي توجهها الحرب النفسية الى مهاجمة السياسة الاشتراكية ـ الانتاجية ـ الصناعية في عهد التوجه القومي الاشتراكي للرئيس الراحل عبد الناصر .

و ـ شن الحرب الاعلامية التي تتحدث عن السلام والحلول السلمية . . ومؤتمر جنيف . . واهمال دور وكيان وشخصية المقاومة الفلسطينية ...

ز ـ واخيرا ، قيام السادات بالمفاجأة المفجعة بزيارة الصهاينة في الارض المغتصبة ، تلك الزيارة التي اثارت غضب الجماهير واستنكار كل مواطن مخلص .

.. ان الصدمة التي نتجت عن الزيارة كانت مغامرة فاشلة كما اثبتت الاسابيع التي تلتها ، لكن الحرب النفسية المشتركة بين المخططين السادة في امريكا وانظمة التسوية حاولت تبرير وتغطية الزيارة واخماد نيران الاستنكار والغضب بالاساليب النفسية التالية :

أ ـ التصريح بان من جملة ايجابيات المفاوضة المباشرة والزيارة للعدو هو ازالة الحواجز النفسية بين العرب والصهاينة . ومن السذاجة بالطبع الادعاء بان ما بين العرب والصهاينة هي حواجز وحساسيات نفسية ، لان الحواجز النفسية تحدث بين افراد الاسرة الواحدة وبين الاصدقاء والمعارف ، اما بين

العـرب والصهاينة فهو صـراع عدوانـي ـ استعماري على ارض مغتصبة وشعب مشرد. انه صراع وجود وقضية وشعب اغتصبت أرضه .

ب ـ التصريح بان مصر تعاني من ضيق اقتصادي ومستوى معاشي بسبب الحروب المتكررة ، اي ان الزيارة ستنهي الازمة وتنتهي الى سلام يؤدي الى اثراء ورفع مستوى دخل ألفرد المصري . والحقيقة ان المواطن المصـري لا يوازن بين دخله ووطنيته ، ولا يساوم على عروبته مقابل رفاه غير اكيد .

ج ـ التباطؤ المتعمد في رد الزيارة واجتماع (بيغن) بالسادات في مصر وذلك ريثما تخفت الاصوات ويشعر المعارضون بالاعياء والملل ... ولكن الحسابات لم تكن صائبـة لان الاصـوات لا زالت ترتفع والحماس يزيد للصمود والمقاومة.

د ـ التصريح بان المستنكرين والمعارضين لا يعرفون النتائج الحميدة التي ستتمخض عنها هـذه الزيارة.. ! وانهم لو صبروا واستمعوا لأيدوا هذا الاتجاه . ! وهذا تصريح يرمي بالطبـع الى التهدئة والتخدير ..

هـ ـ الاتفاق مع انظمة عربية اخرى على ان «تمثل» ادواراً سياسية معينة لخلق جو تلطيفي يمتص النقمة العارمة .. ثم يعود فيدعم الخطة الاساسية الاستسلامية بعدئذ . وهكذا صمتت بعض الانظمة . . . . او صرحت بتعليقات مبهمة باردة ... او انتقدت بعض الجوانب الثانوية من الزيارة وليس صلب مبدئها ..

.. ولا حاجة لتدوين تفاصيل اخرى ، لان ملابسات ونتائج القضية التي شقت الصف العربي واحدثت ارتجاجا في جبهته هي في متناول المواطن العربي في الصحف والمجلات والاذاعات غير ان ميثاق العمل القومي المشترك بين العراق وسوريا كان رداً حاسماً على التداعي ... ولكن لابد من الاشارة الى ان (الحرب النفسية) لا تزال تلعب دورها في كل تحرك وتطور في العالم العربي والقضية الفلسطينية .. وان حدثا سياسيا ما قد يكون وليد سنوات التمهيد النفسي الاستدراجي وهذه احدى وسائل الحرب النفسية الطويلة النفس .

واليوم ، نرى بام اعيننا كيف غزت قوات الاعتداء الصهيوني جنوبي لبنان .. وكيف جاءت القوات الدولية .. ، وكيف تحاط قوات الثورة

الفلسطينية بكماشة . . وكيف تحولت ستراتيجية اليمين الرجعي اللبناني الى نقل المعركة الى بيروت ووسط لبنان ، وسنرى الكثير .. ولكن اليقظة والوعي لن يدعا فرصة للحرب النفسية المعادية ان تؤثر في قلب العربي الثائر .

الوقاية من الحرب النفسية :

لكل داء دواء .. ولكل محنة حل .. ولمجابهة الحرب النفسية وافساد خططها يمكن اتباع نفس الاصول والاسس العلمية التي بنيت عليها تلك الخطط . وهذا انجح سبيل واضمنه . الا ان ذلك يتطلب دراسة عميقة نفاذه ومتواصلة لكل ما يدور حول ظروف البلد والناس والدول المجاورة والصديقة .. وما يدور في السياسة العالمية وما له علاقة ـ مباشرة وغير مباشرة ـ باحوال المجتمع والدولة والوطن . ومن البديهي ان إحباط الحرب النفسية يتطلب الاحتفاظ بقابلية المرونة والتكيف حسب الظروف الانية لمعالجة كل حالة حسبما يلائمها. ونجمل أدناه أهم الاساليب لمكافحة الحرب النفسية والوقاية من شرورها :

١ ـ بما ان الفرد يستمد قوته النفسية والفكرية من جماعته ، فان المحافظة على روح الجماعة والتعاون والتكاتف والصلادة ونكران الذات هي الوقاء العام ضد الحروب النفسية .

وعلينا ان نربي في الفرد روح المواطنة الصادقة والنظر الى المصلحة العامة قبل الخاصة ، والمشاركة في المناسبات العامة والقومية والاتصال المستمر باحداث بلده ووطنه العربي الكبير عن طريق الاعلام الامين .

٢ ـ الهدوء والبرود والتمحيص والتدقيق تجاه كل خبر وقصة واشاعة ، فمن اسرع الاسلحة ضد الاشاعات هو عدم الاكتراث بها والامتناع عن نقلها الى شخص اخر. ليكن الشخص هو المحطة الاخيرة للاشاعة لان رواجها يأتي عن طريق النقل والمداولة ولو بصورة عفوية بريئة، لانها عندما تصل الى شخص مهزوز او ذي نيات سيئة فانه يستغلها اويقع تحت تأثيرها.

والاشاعة تسير بسرعة كما تسري النار في الهشيم . فمن الخطأ اعتبار الاشاعة حكاية تروى للاخرين ويعاد سردها بين حين واخر . فهذا العمل من الامور الخطيرة والمخربة للصمود الداخلي .

٣ ـ الايمان بالقيادة الثورية الوطنية وتفهم سياستها تجاه القضايا العالمية والقومية والمحلية ، أي ان يكون المواطن منصفا عادلا يزن الامور ويفرز الغث من السمين ويشخص

الدسائس والاشاعات المغرضة ولا يندفع في النقد لمجرد النقد فهذه ممارسة كئيبة وضارة ولا تتماشى مع الحق والاخلاق .

٤ ــ وبالمثل .. فان واجب الدولة هو الرعايـــة المستمرة للجمهور والاتصال المفتوح بالشعب. مع الشرح الوافي الامين لســياستها في كـل المناسبات الضرورية والموقوتة . لان الانقطاع والسكوت قد يفسر على انه اهمال او تقاعس او تقصير ، ولان الاطناب والتكرار يؤدي الى الملل وقد يفسر على انه اندفاع لا شعوري عن نقص او خطأ ..

٥ ــ ان تماسك الجبهة الداخلية هو خير ســـند للمعركة والمحاربين فيها ، لذلك فان اندفاع وايمان المحارب يأتي من حماس ودعم وتأييد عائلته وجماعته في الوطن . فعلى المـــدنيين اشعار ابنائهم العسكريين انهم معهم في السراء والضراء ، وان السعادة الحقة في اداء الواجب وان الخلود هو في خدمة واداء رسالة الامة . فصلة الاسرة ومتانتها يغذي في المحارب كل انفعالات الحماس والصمود الاندفاع .

٦ ـ الحذر من الغزو الثقافي المخرب والمستتر وراء «ادب محايد» او «مجلات غامضة» او كتب ومؤسسات بريئة المظاهر . واعلام الحكومة الثورية ومثقفوا الوطن المخلصون هم الذين يفتحون عيون الناس على مثل هذه الثقافة المدسوسة والتوعية المستمرة ، وذلك كفيل بخنق ومحاصرة كل تسلل من هذا النوع .

٧ ـ الاعتزاز بالتراث والاصالة والتاريخ القومي والبحث عن كنوزه ومجالاته دون فقدان الصلة والانفتاح على العالم والتعامل والحوار مع الثقافات الحديثة . فمن لا تراث له لا تاريخ له ويغدو وكأنه بدون أساس وقاعدة ويفتقد عنصر المقاومة والكفاح . فالاسناد المعنوي والنفسي يأتيان من الشعور بالكرامة وبالتاريخ المجيد دون الغرور والزهو .

٨ ـ زيادة روابط التعاون والتبادل مع الدول والشعوب الصديقة بالرياضة ووفود الشباب والاعلام والمؤسسات العلمية والثقافية مما يوسع الجبهة غير المنحازة ويقضي على العزلة السياسية ويزيد من التشتت والاختلاف دون المساس بالمبادىء والحقوق الاساسية لكل شعب .

٩ ـ تحقيق وحدة الامة العربية بمعناها الحقيقي وتوحيد الجهود والاهداف بدل التمـــزق والتردد . فان الامة العربية قوة دولية جبارة لو عرفت أقطارها اهمية الوحدة والتنسيق وتوحيد الصفوف .

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية . د . فيصل السامر

٢ ـ فلسفة الفيزياء د . محمد عبداللطيف مطلب

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي الفكر والتطبيق عزيز السيد جاسم

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر . سامي خشبة

٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي د . محمد ازهر السماك

٦ ـ الثورة والديمقراطية صباح سلمان

٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية عبدالمطلب صالح

٨ ـ الطب عند العرب د . عبداللطيف البدري

٩ ـ انغولا ... الثورة وابعادها الافريقية حلمي شعراوي

١٠ ـ معالجات تخطيطية تظاهرة التحول الحضري د . حيدر كمونة

١١ ـ مصادر الطاقة د . سلمان رشيد سلمان

١٢ ـ التراث العربي كمصدر فينظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث طراد الكبيسي

١٣ ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية . د . نوري جعفر

١٤ ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية عبدالغني عبدالغفور

١٥ ـ العوامل المحفزة لنمو الدخل القومي د . كاظم حبيب

١٦ ـ فن كتابة الاقصوصة ترجمة : كاظم سعد الدين

١٧ ـ الاعلام والاعلام المضاد صاحب حسين

١٨ ـ استثمار المواد الكيمياوية والعضوية الملوثة للبيئة د . طارق شكر محمود

١٩ ـ مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية د . هاشم الطعان

٢٠ ـ الانسان ـ اخر المعلومات العلمية عنه ترجمة واعداد : كاميران قرەداغي

٢١ ـ كتابة الشعر في المدارس ترجمة : طه ياسين حافظ

٢٢ ـ من عصر البخار الى عصر الليزر د . اسامة نعمان

٢٣ ـ الاتصال والتغير الثقافي هادي نعمان الهيتي

٢٤ ـ المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب د . جعفر آل ياسين

٢٥ ـ الصهيونية ليست حركة قومية بديعة أمين

٢٦ ـ الدفاع المدني الشعبي صالح مهدي عماش

٢٧ ـ النسبية بين نيوتن وانشتاين د . طالب ناهي الخفاجي

٢٨ ـ فن التمثيل عند العرب د . محمد حسين الاعرجي

٢٩ ـ الموسيقى الالكترونية على الشوك

٣٠ ـ دراسة في التخطيط الاقتصادي د يحيى علي النجار

٣١ ـ الرواية العربية والحضارة الاوربية شجاع مسلم العاني

٣٢ ـ نقد الفكر البرجوازي ترجمة يوسف عبدالمسيح ثروة

٣٣ ـ الطاقة وآفاقها المستقبلية عادل كامل جميل

٣٤ ـ فن الترجمة ترجمة د . حياة شرارة

٣٥ ـ صورة الكون د . محمد عبداللطيف مطلب

٣٦ ـ اتجاهات النقد الادبي الفرنسي المعاصر . نهاد التكرلي

٣٧ ـ النهضة د . كمال مظهر احمد

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

٥٠١ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

المؤلف في سـطور
د . فخري الدبـاغ

- ولد في الموصل سنة ١٩٢٩
- حصل على بكالوريوس في الطب والجراحة من جامعة بغداد عام ١٩٥٣
- نال الدبلوم في الامراض النفسية والعصبية من جامعة لندن عام ١٩٦٢
- حصل على عضوية كلية الاطباء النفسيين الملكية (لندن) عام ١٩٧٢
- حصل على زمالة كلية الاطباء النفسيين الملكية (لندن) عام ١٩٧٨
- يعمل حالياً استاذاً للطب النفسي في كلية طب بغداد
- عمل عميداً لكلية طب الموصل

من مؤلفاته :

* كتاب (الاطباء والناس) ، ١٩٥٩
* كتاب (الموت اختياراً) ، ١٩٦٨
* كتاب (غسل الدماغ) ، ١٩٧٠
* كتاب (اصول الطب النفساني) ، ١٩٧٤
* كتاب (جنوح الاحداث) ، ١٩٧٥

* كما ان له مترجمات عديدة في الطب مع مجموعة كبيرة من المقـا
والابحاث العلمية والاجتماعية والثقافية .

المُوسُوعَة الصِغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والآداب

رئيس التحرير : موسى كريدي

الكتاب القادم

الانسان والبيئة

عصام عبد اللطيف

السعر ٥٠ فلساً

دار الحرية للطباعة . بغداد